# رؤية الواقع الاجتماعي في القرية المصرية عند روائيي محافظة الغربية
# ( دراسة تحليلية)

**إعداد**

**إيمان محمد أحمد البشبيشي**

**أ.د أسامة البحيري**

أستاذ النقد والبلاغة ورئيس قسم اللغة العربية كلية الأداب _ جامعة طنطا

**د. حامد محمد عبد اللطيف**

مدرس الأدب والنقد الحديث بكلية الآداب _جامعة طنطا

**المستخلص:**

جذب فضاء القرية العديد من الروائيين المعاصرين – في محافظة الغربية - للاهتمام بتصويره في أعمالهم السردية بصورة ملحوظة من الناحية الكمية ؛ فقد أبدعوا نموذجًا متميزًا في تشكيل ملامح ومعالم القرية من خلال إبراز صور الحياة الواقعية فيها، مع التحلي بأسلوب يمتاز بجودة فنية عالية وقدرة فائقة على مداعبة خيال القارئ، مما شكل ظاهرة أدبية تستحق الدراسة للوقوف على مقوماتها الموضوعية وسماتها الفنية والرؤى الفكرية المصاحبة لها وقد استخدمت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي أو الاستقرائى ، الذي يهتم بالنص في المقام الأول من خلال جمع الشواهد على الظاهرة وتحليلها؛ بغية الانتهاء إلى نتائج محددة حول الظاهرة موضوع الدراسة.

وقد تكون هذا البحث من أربعة مطالب :

- **المطلب الأول** : روائيومحافظة الغربية ورؤيتهم للواقع الاجتماعي والسياسي .
- **المطلب الثاني**: ظاهرة الفقر وغياب العدالة الاجتماعية في المجتمع القروي .
- **المطلب الثالث** : القيم الإيجابية في المجتمع القروي .
- **المطلب الرابع** : تحولات المجتمع القروي .

**الكلمات الإفتتاحية :** رؤية الواقع ـ الاجتماعي ـ القرية المصرية ـ روائيومحافظة الغربية .

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المُقدمــة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين**

أما بعد

**المطلب الأول**

**روائيومحافظة الغربية ورؤيتهم للواقع الاجتماعي والسياسي في القرية**

للأدب علاقة وطيدة بالمجتمع ، حيث يكشف الأدب- الجاد- عن قضايا المجتمع ومشكلاته، ويطرحها للرصد والوصف والتحليل؛ بهدف الوصول إلى نتائج وحلول حقيقية وناجحة تؤدي إلى صناعة ما يعرف بالحراك المجتمعي البناء.

وهو الهدف الأصيل والرئيس من الكتابات الإبداعية، أو من الممارسات الفنية ككل، فهي فضلاً عن تقديمها دورًا جليلاً ومهمًا في تسلية المتلقي، والارتفاع بمعدلاته الفكرية والثقافية، فهي كذلك تحمل همًا كبيرًا تجاه المجتمع الذي يعيش فيه هذا المتلقي ومن ناحية أخرى فإن المجتمع بقضاياه المتنوعة وثراء مكوناته الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتاريخية، والجغرافية، يمد الأدب بحصيلة هائلة من الأفكار الإبداعية، فالعلاقة إذن علاقة تأثير وتأثر متبادل، حيث يحمل كل منهما للآخر قدرًا كبيرًا من التعالقات؛ على مستوى النصوص الأدبية وعلى مستوى الواقع والحقيقة.

فالعلاقة بين الأدب والمجتمع وبين الأديب والمجتمع لا يقتصر تأثيرها على طرف دون طرف. وإنما هي علاقة متبادلة ومنعكسة فليس الأديب مجرد صدى للتغيرات الاجتماعية، وإنما هو أيضًا من عوامل التأثير في المجتمع(١).

ولقد كانت الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي سادت المجتمع المصري خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصة في فترة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، مادة خصبة أمام كُتاب الرواية والقصة الاجتماعية الذين تقاربت أعمالهم في التعرض لبعض مشاكل المجتمع، خاصة الفقر، والظلم، والقمع والفساد السياسي، ونزوعها نحو النداء بالعدالة الاجتماعية، وإعلاء شأن الحرية، والعمل على إشعال جذوة الحراك الاجتماعي، وتحقيق سبل التعايش في المجتمع من خلال منظومة القيم الإنسانية والاجتماعية، ومن هنا اتجه أدباء تلك الفترة إلى تسجيل الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية، والاقتصادية آنذاك سلبًا وإيجابًا(٢).

---

(١) ينظر: مقال الواقعية النقدية في رواية خيط سحري، د/ نجلاء نصير ص ١٥، جريدة القصة مصر العدد الخامس، مارس ٢٠١٧م، بتصرف.

(٢) يراجع في ذلك: كتاب أصوات في القصة القصيرة المصرية، د/ سيد حامد النساج، دار المعارف، مصر، ط ١، سنة ١٩٦٤م.

وأدباء محافظة الغربية شأنهم شأن كتاب تلك الفترة المهمة من تاريخ مصر، قد رصدوا تلك الجوانب من خلال مجتمعي الريف والمدينة، على أن الريف هو الذي أخذ الجانب الأكبر، وذلك يرجع لعدة أسباب منها: أن الريف هو المكان الأمثل والأنسب للكشف عن علل المجتمع وقضاياه؛ وذلك لأن علاقات أهله المتشعبة وحياتهم الخالية من التقييد تسهل تتبع المشكلات الطارئة على حياتهم، كما أن بيئة الريف تعد من أكثر البيئات الاجتماعية خصوبة في تعدد منافذها السردية؛ حيث تعطي للكاتب مساحة عريضة لمناقشة القضايا، كما أن هذا المجتمع هو البيئة التي اختبرها الكتاب وعاشوا فيها بجسدهم، وعقولهم، وأرواحهم، وكيانهم، ومن ثم يسهل لهم التعبير عن أدق تفاصيله.

فهم كتاب ريفيون في حياتهم وفي الجو العام الذي يغلف قصصهم ورواياتهم، حتى وإن دارت بعض أحداثها في المدينة الكبرى أو في إحدى عواصم المحافظات المجاورة للقرية ؛ فإنها دائمًا وأبدًا ما تحمل طابع الريف وسرد قصص الفلاح ، ومن ثم استطاعوا أن ينقلوا بحرفية شديدة قضايا ذلك المجتمع على منحى خاص جدًا، فعلى سبيل المثال يرى كثير من النقاد أن أحد أبناء هذه المحافظة وهو الروائي والقاص عبدالحكيم قاسم كان أكثر من عبر عن القرية المصرية بامتدادها الجغرافي الواسع وخصوصيتها الشديدة يقول أحمد عبدالمعطي حجازي: «فعبد الحكيم قاسم لديه ولاء لتجربته ولتصوراته عن القرية في تفاصيلها الدقيقة، ففي رأيه أن القرية هي رأس مال العالم، وكل شيء يراه يقاس بمقاييسها، وكل شيء يكتبه ينبع من حياتها»[١].

وقد أثنى أحمد عبد المعطي حجازي على قدرة عبد الحكيم قاسم في نقل واقع الريف المصري بأمانة ومهارة في رواية أيام الإنسان السبعة؛ حيث رسم عبد الحكيم قاسم «صورة القرية، ووجوه أهلها، سماتهم المميزة، تعبيراتهم المتفردة، المحبون ، والبيوت التي يعيشون فيها، وأطفالهم وحيواناتهم وممتلكاتهم، الحقول المحيطة بالقرية، النخيل والصفصاف، والسواقي والحواري والأزقة والأعياد والاحتفالات، الحب والوجدان اللذان يربطان الناس معًا، والنزاع والحقد اللذان يفرقانهم، المنزل والحظيرة، المسجد والمقابر، ذبح الحيوان، وخبز الخبز والرابطة بين الزوج والزوجة، العلاقات بين زوجات رجل ما، فض بكارة العذراء ممتلئة الجسم، النهار في القرية، والليل في القرية، المندرة، والقهوة، الأفراح والمآتم، الفقر المدقع، والروح التي لا تقهر، كيف تشرق الشمس وتتراجع الظلال، ولهيب القيالة وسدول الليل، الصرخات والهمسات والأصوات والصدى، وغلظة ولين الرجال، وبؤس النساء وفرحتهم البسيطة العابرة، تعب النهار، ونشوة الذكر، والأحلام برحلة لمولد السيد البدوي»[٢].

وأحمد عبد المعطي حجازي يريد هنا أن يضع عبد الحكيم قاسم موضع الكاتب الأمين في رؤيته للواقع الاجتماعي في قريته البندرة، نظرًا لأنه رصد معالمها وأحداثها بعين الخبير.

---

(١) أحمد عبد المعطى حجازى فى تقديمه للترجمة الإنجليزية لرواية أيام الإنسان السبعة لنرومنت بل والتى صدرت عام ١٩٩٦م. الدين والتصور الشعبي للكون سيناريو الظاهر والباطن في المجتمع القروي المصري، د/ السيد الأسود، ص ٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٢، سنة ٢٠٠٥م .

(٢) أحمد عبد المعطى حجازى فى تقديمه للترجمة الإنجليزية لرواية أيام الإنسان السبعة لنرومنت بل والتى صدرت عام ١٩٩٦م. الدين والتصور الشعبي للكون سيناريو الظاهر والباطن في المجتمع القروي المصري، د/ السيد الأسود، ص ٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٢، سنة ٢٠٠٥م .

وهو ما عبر عنه الدكتور/ عبد المحسن طه بدر بالتحام الذات والموضوع في حديثه عن نفس الرواية، قائلًا: «فالمؤلف في هذا العمل لا يفرض على القرية مشكلة من خارجها، هي مشكلته الخاصة لا مشكلة القرية، وهو لا يجعل من القرية ضحية لتصور فكري، أو مجرد أداة للتبشير بفكرة من الأفكار، ولكنه يحاول مخلصًا أن يرى القرية في واقعها، وأن يستشف أعماقها... فهو ليس بالزائر الغريب أو المتفرج المحايد، وليس القاضي الذي يصدر أحكامًا بالبراءة والإدانة، ولكنه منتم إلى عالم القرية وجزء منه»[١].

ولقد عبر روائيو محافظة الغربية عن رؤيتهم لواقع قريتهم الاجتماعي والسياسي بتناولهم لمجموعة هائلة من القضايا والظواهر الايجابية والسلبية، فلم تخل كتابات روائيي الغربية من تناول الشق السياسي والحديث عنه صراحة أو تلميحا، خاصة وأن كثيرًا منهم ممن ينتمي إلى جيلي الستينيات والسبعينيات ومنهم من كان له دور فاعل ومشارك في الحياة السياسية المعاصرة فلابد - والحال كذلك - وأن يكون لهم رؤية خاصة تجاه قضايا الوطن والسياسة على امتداد المرحلة الزمنية لتاريخ مصر قديمًا أو حديثًا، حيث يرى القارئ ذلك واضحًا جليًا في أعمال سعيد الكفراوي، ونجيب الكيلاني، وجار النبي الحلو، وإبراهيم أصلان، وحامد أبو أحمد وخليل الجيزاوي، ومحمد حمزة العزوني ومحمد المنسي قنديل، وعادل عصمت وغيرهم، خاصة عند الحديث عن الأثر الذي أحدثه المحتل الأجنبي في المجتمع ، والشرخ النفسي الذي خلفته نكسة ١٩٦٧م في طبيعة الشعب المصري، والعلاقة المأزومة دوما بين الناس في مصر وحكامهم والتي تأرجحت عبر سنوات بين التأييد والرفض لأفكارهم وسياساتهم، والحديث عن حرب النصر ١٩٧٣م واستعادة الكبرياء والكرامة وحالة الافتخار التي سرعان ما تناقصت بعد سياسة الانفتاح التي شابت مرحلة السبعينيات وما بعدها، وعلى نحو آخر نجد صدى الصوت السياسي خافتا مبحوحا في أعمال بعض الكتاب الآخرين كعبد الحكيم قاسم، وفريد محمد معوض، ومحمد ناجي، وربيع عقب الباب، وعبدالحميد بدران، ومحمد داوود، وميرفت العزوني فندر في أعمالهم استخدام الموضوع السياسي ليشكل محورًا لها، وحتى في هذا القليل لم يعتمدوا على طرح الموضوع إلا في ثنايا النص داخليًا؛ من خلال التلميح، أو إعطاء الإشارات الدالة على مقصدية الموضوع، ووجهة النظر الخاصة التي كونوها من خلال قراءتهم للحدث؛ سواء كان هذا الحدث تاريخيًّا قديمًا يتم استدعاؤه من خلال النص لمحاكمة شخصياته، أو لإبداء الرأي فيه، أو من خلال معايشة الكاتب للحدث ومعاصرته له، فهم لم يحللوا بالتفصيل مساوئ الحياة السياسية ومحاولات السيطرة اقتصاديًا وسياسيًا على البلاد، إنما يفضلون أن يتمثلوا ويتحسسوا تأثيراتها على حياة شخوصهم فما يهمهم بالأساس هو بيان الأثر السلبي الواقع على غالبية المصريين جراء بعض السياسات الظالمة.

وما يهمنا من رؤيتهم تلك ما لها علاقة بموضوع البحث وارتباطه بالقرية المصرية وهو ما يمكن أن نتعرض له في مجموعة محددة من النقاط التالية :

**(أ) استدعاء أحداث، أو عصور، أو شخصيات تاريخية، لمحاكمتها، أو إبداء الرأي فيها:**

وهي الأحداث التي تركت أثارها على عصر الأديب نفسه وامتدت نتائجها عشرات السنين، وهي تيمة أساسية اعتمد عليها أكثر من أديب في إحداث حالة موازية للواقع.

(١) الروائي والأرض، د / عبد المحسن طه بدر، دار المعارف مصر سنة ١٩٧١م ، ص ٢١٥.

من هؤلاء الروائيون الذين استخدموا الرمز السياسي كان عبدالحكيم قاسم(١) ؛ فعلى خلاف أبناء جيله خلت روايات عبد الحكيم قاسم- إلا في القليل منها- من استخدام الموضوع السياسي محورًا لها، وحتى في هذا القليل لم يعتمد الكاتب على طرح الموضوع إلا في ثنايا النص داخليًا؛ من خلال التلميح، أو إعطاء الإشارات الدالة على مقصدية الموضوع، ووجهة النظر الخاصة التي كونها الكاتب من خلال قراءته للحدث؛ سواء كان هذا الحدث تاريخيًّا قديمًا يتم استدعاؤه من خلال النص لمحاكمة شخصياته، أو لإبداء الرأي فيه، أو من خلال معايشة الكاتب للحدث ومعاصرته له، ومن ثم يشارك فيه بالاشتباك معه شخصيًا على أرض الواقع، أو من خلال دوره كمثقف عضوي فاعل بالتأييد أو الرفض من خلال فكره وأدبه القصصي، فإن عبد الحكيم قاسم لا يحلل بالتفصيل مساوئ النظام السياسي ومحاولات السيطرة اقتصاديًا وسياسيًا على البلاد، إنه يفضل أن يتمثل تأثيراتها على حياة شخوصه، فما يهم عبد الحكيم بالأساس هو بيان أثر إدارة النظام غير الإنساني على غالبية المصريين، والطريقة التي يدمر بها طاقة أبنائه من الشباب المثقفين والمفكرين.

وفي القرية يرى عبد الحكيم قاسم أن مصدر الاستغلال فيها هو تدخل العالم الخارجي فيها وتحكمه في مقدراتها، والعالم الخارجي هنا يعنى به النظام السياسي الممثل للسلطة التنفيذية للدولة في المدينة، ومن هذه الإشارات التي التقطها الكاتب:

حديثه عن ثورة المصريين على حكم خورشيد باشا والى مصر المعين من قبل الباب العالي العثماني، والتي أسفرت عن تعيين محمد علي واليًا على مصر عام ١٨٠٥م، يستدعي الكاتب هذه الأحداث ليعلن أن الأمل في تكوين نظام سياسي جديد يعمل لمصالح الشعب، باء بالفشل بعد أن امتلأ الثوار بالأمل.

ففي رواية (محاولة للخروج) تأتي تلك الإشارة من خلال حوار حكيم والزابث:

«ألا تعرفين شيئًا عن تاريخ مصر....؟
لا...
إذن فقط تخيلي... آلاف الفلاحين الشاحبين الحافين العراة مكدسين هنا في هذا الميدان أمام هذا البيت يهتفون نريد محمد علي.... كانت ثورة؟
كان حلما
لم يصلوا لشيء...؟
حصلوا على شيء غير حقيقي
ما هذا...؟
محمد علي نفسه»(٢).

وفي هذا المشهد يبدي عبد الحكيم علي لسان شخصيته الرئيسة حكمه المباشر على فترة ولاية محمد علي لمصر، فعلى الرغم من الآثار الاقتصادية، والمعمارية، والإدارية الباقية منذ ذلك العهد، إلا أن عبد الحكيم كان حكمه على هذه الفترة بالفشل السياسي والإداري، حيث تحملت طوائف الشعب - وبخاصة

---

(٢) عبدالحكيم قاسم ، روائي وقاص ، مواليد قرية البندرة مركز السنطة محافظة الغربية ، عمل في هيئة البريد ، والهيئة العامة للتأمين والمعاشات ، صدر له عدة اعمال منها : أيام الإنسان السبعة ، قدر الغرف المقبضة ، المهدي ، محاولة للخروج ، طرف من خبر الأخرة والعديد من الأعمال.

(٢) رواية محاولة للخروج، ص ٦٥، ٦٦.

الفلاحين - الكثير من المعاناة في سبيل تنفيذ المشروعات والمنشآت التي أقيمت طوال عصر محمد علي، وتحملوا الكثير من المشاق والأعباء، مما دفعهم إلى الفرار من بلادهم.

ويتعرض فريد معوض(١) لقضية الاصلاح الزراعي مناقشا لها من زاوية أخري على لسان أحمد الدرديري أحد شخصيات الرواية يقول الراوي: «كان نفسه عبد الناصر هو اللي يوزع الأرض بنفسه كانت حدوتة لا يمل منها، قالها للأنفار وقالها للعمدة وقالها لأهل البلد جميعهم، كثيرون حصلوا عل الأرض ولا يستحقونها.. كثيرون لم يأخذوا حقهم في الأرض كافيًا.. أخذ الذين يملكون حق الذين لا يملكون »(٢).

ويستدعي فترة الاحتلال الإنجليزي ويبرز علاقتها بالقرية ويعدد مثالبها على لسان شخصيات الرواية يقول: «الكل الآن في مواجهة الهويس... ينظر سيد عبد الدايم إلى كوبري الهويس شوفوا يا ولاد علو أيه.

يغترف أحمد الدرديري ويغسل ساقيه
الواحد لو شافه في الضلمة يتلبش
+يضحك عزمي وهو يغسل ذراعيه

– الانجليز يا عم عليهم بناية !»(٣).

ففي هذا النص يحاكم فريد معوض نظام السخرة الذي اعتمد عليه الإنجليز أثناء فترة الاحتلال ويعقد مقارنة بين هذه الفترة الحالكة السواد شديدة الظلم، وبين فترة ثورة يوليو ١٩٥٢م، والتي يجعلها المؤلف طوق النجاة الذي التقطه المصريون ليكون بمثابة عهد جديد لا ظلم فيه ولا سخرة.

ويقوم فريد معوض في موضع آخر بذكر وجهة نظر مخالفة في الخط العام لثورة يوليو من خلال الايحاء السياسي بفشل الثورة على الإقطاع، فقد ذهب اقطاعي في عصرالملكية وجاء آخر في عصر الجمهورية يقول الراوي:

- عبد الرازق أول من وصل إلي أرض الهويس أيام كانت الأرض تخص نبراوي باشا، وأيام كان الشنواني مجرد كاتب عنده، يتذكره عبد الرازق ويضحك:

كان يكتب علي كيفه. اللي له يزيد.. واللي لغيره يدبل. وقتها كان مقاول الأنفار صاحبًا للشنواني. ومخلصًا له قال له ذات مرة:

- لو عندى عزبة لازم تبقي ناظرها.»(٤).

---

(٢) فريد محمد معوض ، روائي وقاص ومن كتاب أدب الطفل وكاتب سيناريو ، مواليد قرية سامول مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية ، يعمل موظفا في وزراة الشئون الاجتماعية ، صدرت له عدة أعمال منها : أرض الهويس ، المرسي والأرض ، في وجه الريح المنادي ، عود ثقاب ، أيام في الأعظمية ، أعلى من كل الناس ، ودائما تشرق الشمس ، والعديد من الأعمال.

(٢) رواية أرض الهويس، فريد محمد معوض ، ص ٦٢ وص٦٣.

(٣) رواية أرض الهويس، فريد محمد معوض ٣٣-٣٥.

(٤) رواية أرض الهويس ، ص ١١٣، ١١٤.

ويتحدث المؤلف عن أحداث نكسة يونيو ١٩٦٧ بشكل ملغز ورمزي، ويعادل بين سقوط إحدى الطائرات في أرضٍ زراعية يملكها سعد المنكسر مما سبب لها الخسارة وبين رمزية ضياع الحقوق ، والمكتسبات التي اكتسبها الفلاح المصري من قانون الإصلاح الزراعي، فبعد ذلك حدثت ردَّة إلى قوانين الإقطاع المقنع يقول الراوي: «كانت له أرض صغيرة يزرعها من أحسن أراضي الإصلاح الزراعي، يعرفها الجميع بأرض الساحل على حوافيها زرع الصفصاف والجازورين، كان يحففها بالفأس، يعزقها فيجعلها عروسًا، وكان حينما يستبد به التعب يرفع رأسه لأعلى ينظرلارتفاع السماء من فوقه ويقول:- يا رب .»[١].

ويتحدث فريد معوض من خلال التلميح السياسي عن عدم عدالة التطبيق لأفكار ثورة يوليو والملابسات التي شابت تطبيق قانون الاصلاح الزراعي وأثره على أبناء القرية يقول الراوي: «ينخرط سيد عبد الدايم في البكاء

- كان نفسه عبد الناصر هو اللي يوزع الأرض بنفسه... كانت حدوتة لا يمل منها، قالها للأنفار، وقالها للعمدة وقالها لأهل البلد جميعهم »[٢].

ويلاحظ القارئ أن المؤلف وهو أحد أبناء جيل الثورة والمؤمنين بأفكارها وبشخصية زعيمها عبد الناصر أنه ينزهه عن ذلك الظلم الذي وقع- من وجهة نظره- إبان عملية توزيع الأرض على الفلاحين.

وفي رواية «حبو الظلال» لميرفت العزوني([٣]) تستدعي صورة النكسة وذكرى الهزيمة ووقعها النفسي على شخصيات الرواية وما سببته لهم من احباط ويأس وفقدان للثقة يقول الراوى محاكيا مشاعر أم في قرية عزبة شرف مكلومة قلقة على حياة ابنها المجند الغائب «قلبك المضغوط بالألم والحزن يذكرك بالهزيمة التي حلت على الوطن وتنكست لها الرؤوس، انتهت الحرب ولم يعد فرج وكلما سألتم عنه لا تسمعون إلا إجابة باهتة لا معنى لها

مفقود تائه مسميات مطاطية غير مجدية ما يشغل بالك هو العثور على ابنك.

الميت يهتدى أهله إلى قبره.. اما الغائب فأين طريقه؟ وكيف الوصول إليه ؟ ». [٤]

---

(١) **السابق** ، ص ٧٣، ٧٤.

(٢) رواية أرض الهويس ، ص ٦٢ ، ص٦٣.

(٢) ميرفت علي العزوني ، روائية و قاصة ، تعمل معلمة في التربية والتعليم ، مواليد مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية ، صدر لها عدة أعمال منها : حبو الظلال ، البنت التي كبرت ، حبات الفراولة ، حروف مبعثرة ، قفازات خشنة ، والعديد من الأعمال

(٣) رواية حبو الظلال ص ٣١.

وفي صورة بانورامية شاملة يتناول خليل الجيزاوى ([١]) تلك الحقبة في رواية أحلام العايشة مع بيان أثرها النفسي السلبي مبرزا لأحداث النكسة ووقعها على أحد أبناء الريف المجندين يقول الراوى «يقفز المشهد عبر مرآة كاميرا ذاكرتك، تتقلص عضلات وجهك

- يا أفندم فين السلاح، الامدادات**!**

- يمكننا أن نفعل الكثير معهم**.!**»[٢].

والأديب هنا يتناول عبر سطور قليلة مكتنزة مشاعر سلبية أعتصرت قلب أحد المجندين الريفين في مدة زمنية طويلة امتدت من النكسة وما أعقبها من تنحي ووفاة الزعيم عبد الناصر وحرب الاستنزاف ومحاولات الاستعادة للنصر.

وفي رواية (القيراط الخامس والعشرون) لمحمد العزوني ([٣]) يحكي الراوي علي لسان أحمد عبد الله بطل الرواية ما حدث من تزوير في إعلام الوراثة لصالح ورثة خورشيد باشا ، وادعائهم تطليق زوجته قبل وفاته ؛ لكن الأهم من ذلك والكارثة الكبري هي تواطؤ السلطة مع ورثة خورشيد ،

يقول الراوي :

« لكن أريد أن أطمئنكم.. موقفنا القانوني سليم تماما

فلو أثبتنا التزوير الذى لجأ إليه الورثة فى مسألة الطلاق ، ولو قدمنا للمحكمة الوثائق التى تثبت شراءنا للأرض، وامتلاكنا لها ، لحكم لنا القضاء بالأرض فوراً.» ([٤]) .

**(ب) إبراز علاقة الفلاح بالسلطة:**

عاش الفلاح المصري طوال عمر الوطن إلى ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م، وفترة قليلة بعدها في انفصال تام بينه وبين الحكام بمعنى أنه لم يكن لديه الشعور بأن الحاكم يمثله في شيء أو يعمل من أجله شيئًا، بل إن معركته مع الحاكم لم يصبه منها إلا الضرر.

والحاكم كان دائمًا أجنبيًا، إما تركيًا أو مملوكيًا، أو فرنسيًا أو إنجليزيًا وهؤلاء لم يكن يراهم الفلاح إلا جابين للضرائب أو منتزعين لأرضه أو متملقين له لبضعة أيام من أجل صوته في الانتخابات، وتربى لدى الفلاح المصري طوال ذلك التاريخ شعور بالعداء والحذر والخوف تجاه الحكام ومن يمثلونهم، ولقد عاش الفلاح المصري عبر التاريخ وهو يشعر تمامًا أن مصيره يتقرر في مكان بعيد عنه في قصر السلطان أو الملك أو سرايات الباشوات وكبار من يملكون الأراضي والثروات وهو في كل ذلك بائس لا

---

(٤) خليل الجيزاوي ، روائي وقاص وصحفي وناشر ، مواليد قرية العايشة مركز زفتى محافظة الغربية، صدر له عدة أعمال منها : أحلام العايشة ، يوميات مدرس البنات ، سيرة بني صالح ، نشيد الخلاص ، أولاد الأفاعي ، والعديد من الأعمال.

(٥) رواية أحلام العايشة لخليل الجيزاوى، من ص ٦٧ إلى ص ٧٦ بتلخيص .

(٦) محمد حمزة العزوني ، روائي وقاص وشاعر وناقد أدبي مارس العمل الصحفي، مواليد قرية صفط تراب مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية ، صدر له عدة أعمال منها : القيراط الخامس والعشرون ، صفط تراب نيويورك والعكس ، مقاطع مبتورة من يوميات لم تكتب بعد ، عطر ودخان والعديد من الأعمال .

(٣) رواية القيراط الخامس والعشرون ، محمد حمزة العزوني ، ص ١١٠ ، ١١١

يملك سوى التنفيذ لما يملى عليه ويصدر من قرارات وقوانين وأوامر، وأما أن يكون ثائرا أو ساخطا فيكون نصيبه في هذه الحالة إما التعذيب والجلد والسجن أو القتل في أحيان أخرى.

ومن هنا كانت علاقة الفلاح بالسلطة علاقة تحمل قدرًا كبيرًا من التضاد والانتهازية أو التواطؤ على هضم حقوق الفلاح ففي رواية (القيراط الخامس والعشرون) لمحمد حمزة العزوني يأتي مفتتح الرواية دالًا على سوء العلاقة بين الفلاحين والسلطة يقول الراوي:

«الحقوا يا بلد

ياأهل صفط تراب

الحقوا أرضكم.. أرضكم عرضكم ومصدر رزقكم.. الحقوا يابلد يا أهل صفط تراب الحقوا أرضكم

ورثة خورشيد باشا راجعين ياخدوا أرضكم.. الحكومة تسلم الإقطاعيين أرضكم في حوض الأصالي الآن..

يا أهل صفط تراب ألحقوا أرضكم أرضكم عرضكم ومصدر رزقكم »[١].

والروائي حمزة العزوني هنا يتحدث عن ردة على قانون الإصلاح الزراعي الذي أعطى الفلاح قيمة كبرى وملكه الأرض بعد أن كان يعمل بالسخرة تحت إمرة الباشا الإقطاعي، فها هو الإقطاع يعود في ثوبه الجديد من خلال ورثة أحد كبار الملاك الإقطاعيين بعد أن جاء ورثته في محاولة منهم لاستعادة أمجاد ذلك العهد البائد بالقوة على أن جميع أهل القرية كانوا في مقاومتهم لذلك كالبنيان الواحد نظرًا لوقوع الضرر المشمول عليهم على كافة الأصعدة فالأمر أبعد من كونه صراعًا على الأرض بل هو صراع على الحق في الحياة ذاتها.

وعن نظام السخرة والعمل الإجباري في الأرض التابعة لحزام الإقطاع يقول الراوي

في رواية سوق اللبن لربيع عقب الباب (٢) مصورا حالة العذاب والألم البدني والنفسي الذي يعتري الشخصية الرئيسة في الرواية «أنا خائف من العسكر جنود الباشا... جمل صبرك يا ابن سلف الخوف آيتك مرضك آيتك ولدك وحزنك ودمدمة لا وجود لها إلا في حروف كتاب فوق جرحك ووجعك...» [٣].

**(ج) إشكالية الحرية:**

الحرية هي قدرة الشخص على الاختيار دونما أي تضييق، أو توجيه، أو إجبار، في إطار عدم الإخلال بالعرف والقانون والنظام العام ؛ وهي من أغلى الأشياء التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان واختصه بها عن جميع خلقه، «وتكاد تكون هي جوهر الطبيعة، والماهية والوجود الإنساني كله، لقد كان (كانط) يتفق مع (روسو) في أن الحرية ماهية الإنسان لا يستطيع أن يتنازل عنها، وإن هو فقدها فقد معها إنسانيته، فالحق الفطري الوحيد هو الحرية بالمقدار الذي يمكن أن يتعايش المرء فيه مع حرية الآخرين وفقًا للقانون وهو حق مكفول للإنسان بمقتضى إنسانيته، ومن الفلاسفة من عدها أصلًا لنشأة المجتمع

(١) رواية القيراط الخامس والعشلرون ، ص ٦ و٧ و٨.

(١) ربيع عقب الباب ، روائي وقاص وشاعر ومسرحي ومن كتاب أدب الطفل ، مواليد مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية ، صدر له عدة أعمال منها : سوق اللبن ، حلم كائن بسيط ، من يقتل الغندور، البلد ،الحلم والصندوق ، ليل المدن القديمة ، انشودة الصقر ، والعديد من الاعمال .

(٣) رواية سوق اللبن ربيع عقب الباب، ص ٢٤.

الإنساني واستقراره وتكامله» [١]، وهي من أعلى القيم الإنسانية كافة، ولا تظهر قيمتها إلا من خلال الممارسة فهي لا تمنح ؛ ولكنها فعل إنساني تظهر تجلياته في وقائع الحياة ؛ وإذا فقد أبناء المجتمع ميزة الحرية أصابتهم جميع العلات والمشكلات الاجتماعية، فالحرية هي البوابة الحقيقية التي ينفذ من خلالها الأفراد؛ إلى تحقيق ما يعرف بمجتمع السلم والإخاء والرفاه الاجتماعي، وبدونها يصبح الحديث عن تحقيق العدالة الاجتماعية ضربًا من الخيال.

كل ذلك كان له عميق الأثر في تغيير بنية المجتمع المصري برافديه – القرية والمدينة – وخاصة القرية، بما صاحب ذلك من إعلان الدولة المصرية، مجموعة من القوانين ، نرى أصداء ذلك عند محمد حمزة العزوني وسعيد الكفراوي ونجيب الكيلاني وجار النبي الحلو وعبد الحكيم قاسم وهم أبناء جيلي الستينيات والسبعينيات، وهم من الأجيال التي توقفت كثيرًا في أدبها أمام سؤال الحرية.

وفي(رواية محاولة للخروج) تتكرر تيمة افتقاد الحرية بشقيها السياسي، والاجتماعي فقد عبَّر عبد الحكيم عن ذلك من خلال افتقاد المواطن المصري لحق تحديد المصير بالانتخاب النزيه الحر، أو بما يعرف بمبدأ تداول السلطة، ففي مشهد حواري يقارن فيه حكيم بين الحياة السياسية في أوروبا ومصر، يقول في رواية محاولة للخروج: «ارتكنت أنا والزابث على سياج الكوبري، امتداد النيل والأضواء والمباني الرائعة على الضفة..

انظري..

.. رائع

لكن هذه ليست مصر، مصر تعيش في أكواخ طينية مظلمة في أعماق الريف هناك تعيش... كسيرة... تلبس الأسود.. »[٢].

وقد جسد عبد الحكيم هنا مدى العلاقة بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية وكيف أن الاثنين وجهان لعملة واحدة، فلا حرية سياسية بدون حرية اجتماعية ولا حرية اجتماعية كذلك بدون حرية سياسية.

ويلحظ هنا إلماح الكاتب إلى أن المجتمع الريفي نال أقصى حد من التهميش، ومن سلب الحريات، أكثر من مجتمع المدينة، على الرغم من أن أكثر حكام مصر وقادتها من أبناء الريف.

وفي رواية (القيراط الخامس والعشرون) ساق العزوني مثالاً يُعبر عن أمل الفلاحين في تحقيق العدل والحرية والكرامة ، يقول الراوي :

« كان يتساءل وهو يغني.. لماذا هذا التأثير الهائل لهذا الموال..؟. أكان هذا الموال يمثل أمل الملايين من الفلاحين في العدل والحرية والكرامة الإنسانية.؟ » ([٣]).

---

(١) الديمقراطية إشكالية الحرية، د/ عزت قرني، ص ٢٠، مجلة عالم الفكر مج ٢، ع٢، الكويت، سنة ١٩٩٣م

(٢) رواية محاولة للخروج، ص ٤٦، ٤٧.

(١) رواية القيراط الخامس والعشرون : ص ٢٧ .

## المطلب الثاني

## ظاهرة الفقر وغياب العدالة الاجتماعية في المجتمع القروي

يميل روائيو الغربية في تمثيلاتهم لمجتمع القرية، إلى تصوير الجوانب السلبية للمجتمع القروي بنسبة تفوق كثيرًا الجوانب الإيجابية التي يتمتع بها هذا المجتمع، والتي تميزهم عن سكان الحضر مثلاً، وهذا ما يمكن أن يعزوه القارئ أو المتتبع لحياة هؤلاء الأدباء وسيرتهم إلى أمرين: أولهما راجع إلى طبيعة الطبقة الاجتماعية الفقيرة التي ينتمي إليها هؤلاء والتي دمغت حياة أكثرهم مما انطبع على أدائهم الفني وفكرهم في أدبهم الروائي، والأمر الثاني ربما يرجع إلى أن الفنون عامة تجد ذاتها في تصوير مثل هذه الحيوات وهو ما يتقارب مع قول الناقد العربي الشهير / الأصمعي «الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف ولان»[١] فربما ما يعنيه الأصمعي في مقولته عن إبداع الشعر هذه تنطبق على جميع الفنون الأدبية، ففي تصوير المثالب والمآسي ما يجعل من فنون السرد (كالرواية والقصة) عملاً جاذبًا ومؤثرًا في قطاع كبير من القراء، ومتوافقًا مع طبيعة كتاب جيلي الستينيات والسبعينيات ؛ خاصة والذين مالوا إلى تصوير الجوانب السلبية في جميع قطاعات المجتمع والمعاناة التي عاش فيها المصريون، كما يمكن أن يكون هذا نوعًا من التأثر بالواقعية الجديدة التي سيطرت على أدب تلك الفترة الزمانية من حياة مصر، والتي تسلط الضوء على المثالب فقط.

ومن أبرز المثالب التي صورها الأدباء في رواياتهم هي اهتمامهم بتناول أثر ما أنتجه « الفقر وغياب العدالة الاجتماعية » من جهل ومرض وقهر وظلم في مجتمع القرية، خاصة وأن القرية في كثير من الأحيان تعاملها السلطة المركزية هي وأبناءها بحالة من الإهمال والتهميش المتعمد، ولقد جاء تصوير الأدباء لهذه القضايا في أغلب الأحيان بأسلوب خطابي مباشر في معظم الأعمال ولم يلجأو إلى التعبير الرمزي غير المباشر إلا فيما ندر.

وتختلف درجة الفقر من مجتمع إلى آخر؛ خاصة وأن تحليل الشرائح الاجتماعية ودرجاتها من حيث الإنفاق الاقتصادي، ومستوى الدخل يختلف من دولة إلى أخرى، إلا أنه من الممكن وضع تعريف تقريبي له كمصطلح لتوصيف تلك الظاهرة.

---

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٣٠٥/١، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣هـ.

جاء في تقرير التنمية لمنظمة الأمم المتحدة تعريف الفقر بأنه «عدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة، وعدم حصول الفرد على الخدمات الأساسية في الحياة»[١] أي عدم تحقيق حد الكفاية الذي يتيح للفرد مواصلة حياته بشكل إنساني من الطعام، والشراب، والمسكن الملائم، والملبس، والعلاج، والتعليم.

ومن اللافت للنظر هو درجة الفقر المفرط، والبؤس الطاحن داخل القرى المصرية بشكل عام مما يفسر حالة تدني المستوى العام الاجتماعي، والثقافي، والسياسي، والإداري والاقتصادي، ناهيك عن مشكلات الفقر المتعلقة بالبيئة من البعد عن المركز والتي تلقى بظلالها على إفقار الوعي لدى غالبية أهالي القرى بالحقوق الواجبة على السلطة المركزية تجاههم، والمقاومة لكل صور التغيير التي تمس فكرة التقدم، والتحضر الإنساني[٢].

وتعد فكرة المركزية في الدولة المصرية أي أن تتجمع كل سلطات الحكم وأدواته وآلياته في عاصمة الدولة، هي من الأسباب الأولى والقوية التي أوجدت فكرة الهامش والمركز في المجتمع المصري، من حيث العامل الجغرافي وتصنيف الناس على أساسه ومن خلاله، ومن مستتبعات هذه الظاهرة هي تحلق الجهل والمرض حولها كجناحين رئيسيين ، وهو ما يعرف بثالوث الخطر، فإذا زاد الفقر في مجتمع ما ؛ زادت بالتالي نسبة انتشار المرض والجهل فيه.

وجاء تناول لهذه الظاهرة على بعدين: الأول: هو التعبير عن حالة التهميش من قبل الدولة في المركز، والثاني: هو معاناة الريفي من حالة الفقر المدقع في حالة الهجرة إلى المدينة وما يلاقيه فيها من عنت وسوء معاملة وعنصرية.

ويتوقف علم الاجتماع عند ظاهرة توسع المدن وهجرة الريفيين إليها في العصر الحديث، ولا سيما في الفترات الأخيرة، «فبعض المدن العربية تعملقت وصارت تؤوي ملايين عديدة من البشر، وبما أن ظاهرة العملقة كانت سريعة جدًا ومفاجئة أحيانًا فقد نجمت عنها مشاكل خدمية واجتماعية وسياسية كبيرة تركت بصماتها على السكان المدنيين الذين ازدادوا توترًا وعنفًا وغربة ، وتعتبر القاهرة مثالاً صارخًا على هذا العمل، وأسباب الهجرة كثيرة منها ما هو اقتصادي (قحط الأرض) ، وما هو تخييلي (نظرة بعض الريفيين إلى المدن التي يهاجرون إليها على أنها جنة الله على الأرض)، والاعتقاد أنهم سيعيشون فيها حياة مرفهة»[٣].

ففي رواية (حبو الظلال ) لميرفت العزوني يقول الراوي مصورا ضعف البنية التحتية في القرية: «الأيام تمر في رتابة، كنت تمني نفسك بأن جمال سيجلب الكهرباء إلى العزبة مات جمال وحل نصر ٧٣ ولم يدق عامود واحد في الارض بل جاءت جرارات تجرف الارض بعد ان اقنع سيدك فرج الفلاحيين ببيع التراب لمصنع الطوب الذي يشارك فيه..

(١) تقرير التنمية في العالم ١٩٩٠ إصدار البنك الدولي ص ٤١، الطبعة العربية مؤسسة الأهرام القاهرة، سنة ١٩٩٠.

(٢) ينظر: مقال بعنوان (الشباب وتحديات التنمية البشرية في المجتمع المصري)، مجلة بحوث الشرق الأوسط د/ سعاد عطا فراج، ص ١٠٠، العدد ١ سبتمبر ٢٠٠٧م.

(٣) الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيوثقافية، د/ هويدا صالح، ص ٢١٤، دار رؤية مصر، ط١، سنة ٢٠١٥م.

حتى الأعياد فقدت بهجتها وفخامتها في بيت سيدك تزوجت عزيزة من تاجر حبوب، رآها وهو يشتري محصول الكتان وانتقلت للعيش معه في مدينته طنطا الواحدة تقب على وش الدنيا أعيش في بيت نضيف فيه نور ومية والواد حسن يخش المدارس ويتعلم ويبقى بيه»[١].

وميرفت العزوني تتناول مظاهر غياب العدالة الاجتماعية متمثلة في عدم اهتمام السلطة في المركز (المدينة) بتوزيع الثروات والإمكانات بشكل عادل ومنصف بينها وبين الهامش (الريف).

وفي رواية (ابن الريف) للأديب عبدالحميد بدران([٢]) يتحدث عن معاناة أبناء القرية ومحاولاتهم الخروج من عثراتهم وتحقيق طموحاتهم في الارتقاء في السلم الاجتماعي على الرغم من ضيق ذات اليد

يقول الراوي:

« تتعامد أشعة الشمس فى بلدتى على أبناء الفقراء، لتمنحهم طاقة لا يقدر على تحملها أبناء الأغنياء مهما كانت قوة مظلاتهم وصلابة أجسادهم.

أحاول الرجوع بذاكرتى إلى الوراء حيث المدرسة الابتدائية ذات الطوابق الثلاثة، إلى حيث زملائى الذين نحتت صورهم بجميع تفاصيلها فى مخيلتي، على الرغم من أننا لم نجتمع بعدها فى أى فصل دراسى، لقد كان هذا المكان أول عهدى بالدنيا التى تمثل لى ما بعد الحارة التى ولدت فيها، وما بعد ابنائها الذين ألفت وجوههم وألفوا وجهي، فلم نستسغ اللقمة إلا إذا أكلناها معا، ولم نتجرع الماء إلا إذا صببنا باقى الأكواب على ملابسنا الرثة، تلطف بالماء ما عسى أن تصنعه الشمس بأجسادنا الضعيفة»[٣].

الفقر وما يستتبعه من جهل ومرض وغياب للعدالة الاجتماعية كان حاضرًا في تضاعيف السرد في رواية (أرض الهويس) يقول الراوي متحدثًا عن مرض الفلاحين في القرية بالبلهارسيا نظرًا للعادات الخاطئة في أسلوب المعيشة ونظرًا للتلوث القابع في كل الممارسات الحياتية من عمل وطعام وشراب ونظافة شخصية:

«وقفنا نتسابق علي الذي يبول بعد الماء دمًا أحمر، لبد كل واحد في مكان، وأخذ الجميع موضع التأهب، البنات زعقن في وجوهنا كي نبتعد، صاحت إحداهن:

- علي إيه.. دا شويه مفاعيص.

أرسل كل واحد منا خيطًا أصفر يتدفق لأعلي وتتبعه دفقات حمراء.. صاحت إحداهن من جديد:

- جاتكوا نيلة.. كلكوا عنكوا الهارسة.

---

(١) رواية حبو الظلال ميرفت العزوني ص ٦٩.

(٤) عبدالحميد محمد بدران ، روائي وقاص وشاعر و أكاديمي متخصص في الأدب والنقد يعمل بكلية اللغة العربية جامعة الازهر بالمنصورة ، مواليد قرية حصة شبشير مركز طنطا محافظة الغربية ، صدر له عدة أعمال منها : ابن الريف ، دفء الحنين ، فصل السكون ، الرسالة ، أوراق ، رحى الذكرى ، شاطئ السلوان ، سحابة صيف، والعديد من الأعمال .

(١) رواية ابن الريف ، ص ٧.

- أنا متهيأ لي إن النكسة كانت بسببها.. [١].

ومن توابع تفشي ظاهرة القهر وما يستتبعها من ظلم اجتماعي جاء الحديث عن غياب العدالة الاجتماعية ليمثل جزءًا كبيرًا من أعمال الروائيين - وذلك عبر ثنائية القرية / المدينة - حيث رصدوا أنواع القهر والظلم المختلفة التي تنوء بها القرية مقارنة بالمدينة، فهما وإن كانتا تعانيان قهرًا وظلمًا، إلا أن الظلم والقهر الذي تعاني منه القرية وأبناؤها أشد وأظهر وغالبًا ما يظهر ذلك عند الأدباء عندما يشيروا في أعمالهم إلى التأكيد على الاختلافات النابعة من تلك الثنائية بإبراز أوجه الاختلاف بينهما من أماكن وشخصيات ورؤية هذه الشخصيات للعالم.

وقد أبرزوا في حديثهم عن القهر والظلم الاجتماعي أنواعا مختلفة إلا أنها جميعًا تتكامل لتعطي صورة شاملة عما أصاب مجتمع القرية لديهم من انسحاق تام في العدالة الاجتماعية.

يعرف القهر بأنه: الغلبة والأخذ بالقوة وبدون رضى الآخر، والمقهور هو ذلك الشخص المغلوب على أمره، المسلوب حقه ظلمًا وعدوانًا سواء في الحقوق المادية أو المعنوية وتعد مشكلة القهر الاجتماعي في القرية أحد أهم وأقدم المشكلات الاجتماعية، وهي في أصلها نابعة من سيطرة الطبقية الاستعلائية المادية، والاجتماعية على تفكير المجتمع الريفي.

وفي رواية (كفر سيدي سليم ) جاء حديث عبدالحكيم قاسم ممتدًا مع سياق الطبقية الظالمة حيث تيمة الباشا الظالم وأعوانه الذين يتحكمون في مقادير البلاد والعباد «والواحد من أهل الكفر إذ يئوب من عمله في دائرة الباشا يأتي معه في عظامه وعضله، في روحه ونفسه وعقله التعب، وسؤال عن الباشا ما هو؟ أهو نبحات قلب وابور الماء التي ترددها الأفاق؟ أهو ذلك الامتداد من الأرض الشاسع في الجهات الأربع؟ أهو تلك القسوة في قلوب الناظر والكاتب والخولي؟ أم هو سوقهم الناس بالعسف والإهانة.. أم أنه ذلك كله؟» [٢].

وسؤال الراوي عن الباشا هو سؤال عن أسباب انصياع الفلاحين للقهر والظلم دون أي حراك اجتماعي يزيل آثار هذا الاعتداء الغاشم، وصبرهم على المعاملة الفظة من قبل الطغاة المعتدين... ويصل وصف الكاتب لتلك الصورة الطبقية إلى منتهاها في حكايته عن حفر المصرف في القرية لخدمة أراضي الباشا، وكيف أن الخلق كانوا يجمعون كالبهائم في جماعات للعمل في ذلك الحفر، يقول «أجناس سمراء نحيلة عجيبة شذاذا من مجاهل الدنيا قوم كلفون بالوشم يغطون به أذرعهم وأصداغهم أقام هؤلاء الناس لأنفسهم في مكان عملهم مآوى من العشش والخيام يعملون طول النهار، وفي الليل يغيرون على ما حولهم من أرضين وحدائق وقرى يأكلون الحرام ويشربون عليه الشاي الأسود لا يعرفون صلاة ولا قراءة ولا دعاء، لا يقرئون سلامًا، ولا يغضون بصرًا ولا يغتسلون ولا يتطهرون»[٣]. أما حال أهل القرية فقد وصل إلى حال مزرية فقد «بارت أطراف زمامهم وهم واجفون ينظرون ينتظرون أن يؤذن الله بانتهاء الحفر ورحيل البغاة المعتدين... أما الباشا فإنه أرسل عماله إلى هؤلاء الغرباء يختلطون بهم، يستطلعون ظاهرهم ويتحسسون خبيئتهم انتهى الحفر ولم يرحل القوم... العشش والخيام استقرت ثم تحولت إلى أكواخ ودور، استأمن الباشا أهلها على زمامه واستعملهم يحرسون ملكه ويعملون فيه... وأصبح الواحد

(١) رواية أرض الهويس، ص٩١ :ص ٩٦ بتلخيص .

(٢) رواية كفر سيدي سليم « تجلي السر»، ص ٣٥٧.

(٣) رواية كفر سيدي سليم « تجلي السر» ، ص ٣٥٧.

منهم يملأ عبه بالرصاص ينطلق يجوس الزمام مفرقعًا طلقاته ناشرًا دوائر من الرعب،خاف الناس وأمن الباشا، واشتد بأسه وقوي سلطانه واستولى على ما اقتطعه المصرف من أطراف زمام القرى .. »[١].

ليس هذا فحسب بل امتد طمع الباشا في الحصول على أراضي جميع الزمام، وحينما رفض البعض «أن يوقعوا أوراق تنازل عن أرضهم وبقوا فيها... حينئذ أرسل الباشا من يجليهم عن حقلهم بالقوة، أحاط الأشرار بأصحاب الحق، حزموا سواعدهم ككلابات الحديد فما كان إلا أن انهالت العصى على الأيدى والرؤوس سالت الدماء وانهار المقاومون على جسر ترعة الوسط»[٢].

وهي صورة قاتمة حالكة السواد عبر بها الراوي عن عصر الإقطاع ببشاعته وصلافته من وجهة نظره، وهي الرؤية التي حافظ عليها خلال عرضه لهذه القضية في جل أدبه القصصي.

ومن أبرز مظاهر غياب العدالة التي تعرض لها الكاتب عبدالحكيم قاسم كان القهر الواقع على المرأة والتمييز النوعي، وهو أمر شائع جدًا في الريف حيث لا تولى المؤسسة الذكورية – وخاصة في عصر ما قبل الألفية الجديدة – في القرية المصرية للمرأة أي أهمية تذكر، فعلى الرغم من أن المرأة نصف المجتمع كما يقولون، وهي التي يقع على عاتقها تربية النشء وإعداده نفسيًا وبدنيًا واجتماعيًا، كما أن هذا الدور في المجتمعات الريفية يبدو متعاظمًا من خلال كثرة الأعباء، إلا أن المرأة كانت في السابق تلاقي معاناة كبيرة من آثار التهميش والقهر والظلم الاجتماعي، وقد عبر عبد الحكيم قاسم عن قضايا المرأة بشكل مكثف في روايته أيام الإنسان السبعة، وخاصة من خلال صور القهر المتنوعة التي مورست عليها:

ففي الرواية تقابلنا شخصيات نسائية عدة، تنتمي إلى فضاء القرية وفضاء المدينة، إلا أن النماذج الغالبة والمؤثرة في سير الأحداث وفي مسيرة الراوي عبد العزيز هن نساء القرية، وخاصة من ينتمين إلى المحيط العائلي لديه.

ففي محيط العائلة تقابلنا شخصية (الأم)، التي هي أصلاً بنت مدينة وذات ثقافة حضرية أتت إلى الريف للزواج من الحاج كريم الأب ودائمًا ما يكون الشجار بينهما - وذلك لاختلاف وجهة نظر كل منهما- فيما يحدث داخل البيت وخارجه من تبذير وإهدار لمال الأسرة على ما يلزم البيت وأهله، على حين يرى الحاج كريم أن هذه المصروفات على أفراد الحضرة واجب وكرم يعوضه الله، الأصل في الشجار يرجع إلى اختلاف ثقافة كل منهما، ومع هذا الشجار الحادث إلا أن مكانة الأب محفوظة، وهو مرهوب الجانب في الأسرة وبين أفراد الحضرة، وهذا يظهر في تفاني المرأة في خدمته والسهر على راحته والانشغال بأعمال البيت وشئونه من تدبير معاشه وكذلك الاهتمام بأمر الحقل، ولا تظهر الأم غضبها من زوجة الحاج كريم الثانية التي تعيش معهم في نفس البيت [٣].

وقد أبرزَ الكاتب محمد العزوني في (القيراط الخامس والعشرون) مظاهر كثيرة للظلم وغياب العدالة الاجتماعية ، تدور كلها حول قرار تسليم أراضي الفلاحين للإقطاعيين ، وما يتبع ذلك من عواقب على القرية وأهلها ، فصوَّر مدى الظلم الذي تعرَّض له أهل القرية ، يقول الراوى : لم يكونوا يظنون أبدا أن هناك حكومة- مهما تكن ظالمة- يمكن أن تقف في وجه الأغلبية الكاسحة من شعبها من أجل حفنة

(١) رواية كفر سيدي سليم « تجلي السر» ، ص٣٥٧ ، ص ٣٥٨.

(٢) ينظر: السابق ، ص ٣٥٩ .

(٣) رواية أيام الإنسان السبعة، فصل الخبيز من ص٥١، وص ٨٨.

قليلة من الإقطاعيين.

« لم يكونوا يظنون أبدا أن هناك حكومة يمكن أن تكره شعبها إلى هذا الحد » .(١)

ويقول على لسان أهل القرية « لقد طُبِّق القانون علينا، والجزمة فوق رءوسنا، طُردنا من الأرض المؤجرة التي ورثناها عن آبائنا، وكنا نظن- وبعض الظن إثم- أنْ سنورثها لأبنائنا، لكننا طُردنا من تلك الأرض والبيادة فوق رءوسنا.» .(٢)

ونتيجة لهذا القرار ثار الفلاحونْ ؛ وتمنَّى الفلاحون لو يصُبُّ الله لعنته على ورثة خورشيد باشا ، يقول على لسانهم:

«اللعنة عليهم جميعا.. اللعنة على ورثة خورشيد باشا » . (٣)

اندثر الأمل والحلم الذي طالما حلموا به ؛ ليوَّرثوا أرضهم لأبنائهم ، ويصبحوا مستأجرين بعد أن كانوا ملَّاكًا .

## المطلب الثالث

## القيم الإيجابية في المجتمع القروي

لكل مجتمع قيمه السائدة التي يتمثلها أفراده، وقد تتباين هذه القيم طبقًا لمجموعة من العوامل الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، والبيئية، وطبقًا لطبيعة الثقافة والفكر السائد، وتعد القيم في كل مجتمع أحد أهم المعايير والمحددات التي يقيَّم بها السلوك الإنساني، والمجتمع السليم المتوازن هو ذلك المجتمع الذي ينتشر فيه الوعي بالقيم الإيجابية، وهي تستمد من الدين والعقل، والمجتمع، والأسرة، كما أنها تختلف من مكان إلى آخر، أو من بيئة إلى أخرى، والالتزام بها والحفاظ عليها، ويرتبط بالمحافظة على القيم الإيجابية وازدياد الوعي بها مفاهيم كثيرة لدى الأفراد في المجتمعات كالتقدم والتطور والنظام والترابط الاجتماعي.

وقد طرأت على المجتمع المصري – مدينة وقرية – تغييرات كثيرة ومستجدات عديدة في كل المجالات كان لها تأثيرها المباشر وغير المباشر على سلوك الأفراد والجماعات سلبًا أو إيجابًا، ولا شك في أن الكثير من هذه المتغيرات قد أحدث الكثير من الاهتزاز في القيم، فقد تغيرت النظرة إلى القيم وبخاصة من الأجيال الجديدة التي تبدي في تصرفاتها تمردًا على الكثير من عادات المجتمع وتقاليده وقيمه، وكثيرًا ما ينظر الجيل الجديد إلى أفكار الجيل القديم وتصوراته على أنها تصورات قديمة متخلفة، لم تعد تلائم العصر ولا تتفق مع المتغيرات الجديدة، أو المستجدات التي طرأت على حياة الأفراد والمجتمعات.

---

(٢) القيراط الخامس والعشرون ، ص ٩

(٣) ينظر : السابق، ص ١٠

(٤) ينظر:السابق ، ص ١٦

وتتميز مجتمعات الريف دائمًا وأبدًا بأنها مجتمعات محافظة عن نظائرها في المدن، كما أنها مجتمعات مترابطة، ومتقاربة، وهو ما يجعل من شيوع القيمة لديها وثباتها والحفاظ عليها وتوريثها على امتداد الأجيال أمرًا اعتياديًا.

وعلى الرغم من غلبة تمثيلات الجوانب السلبية في قرية روائيي الغربية إلا أنهم حينما أسسوا لحالة تعبيرية عن منظومة القيم في مجتمع القرية، غلب عليهم منحى الحديث عن القيم الإيجابية، أكثر من الحديث عنها في الإطار السلبي، ويعد ذلك من الأمور التي تعمل على ترسيخ مبدأ النقل الواقعي لصورة القرية والتي اعتمد عليها الروائيون في فنهم الروائي عامة، وفي روايات القرية بشكل خاص.

ومن القيم التي عبر عنها روائيو الغربية في رواياتهم محل الدراسة: .

**[١] الانتماء والاعتداد بالريف:**

في آخر حواراته الصحفية ذكر عبد الحكيم قاسم جملة تعبر عن خلاصة عقيدته في الحياة «طوفت كثيرًا ولم أجد إلا حقيقتين القرآن، والقرية»[(١)]، وتعبير الكاتب عن القرية بالحقيقة يؤكد رسوخها وعمق تجذرها داخله، وهو ما يمكن أن ندلل عليه بالانتماء الذي يغلف علاقة الشخص بموطنه الأصلي مهما ابتعد ومهما واجهه فيه من مصاعب، ومن منطلق هذا الشعور وجدنا قول النبي (ﷺ) عندما هاجر من مكة إلى المدينة مخاطبًا وطنه العزيز مكة: «والله إنك أحب أرض الله إلى

نفسي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»[(٢)] وذلك على الرغم مما تعرض له (ﷺ) في وطنه مكة من ألوان الإيذاء والغدر والعدوان.

والانتماء قد يكون لمكان، أو لجهة، أو لجماعة، أو لعقيدة، أو لإنسان، أو لمؤسسة... الخ، وهو انتساب مقرون بالولاء والتقدير، ويعد الشعور بالانتماء للوطن من أقوى المشاعر وأهمها في تحقيق حالة من الوئام، والانسجام، والترابط، والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد، فالوطن هو مسقط رأس الإنسان، وموضع إقامته واستقراره وإطار لثقافته وعاداته وتقاليده ولهذا كان حب الوطن قيمة إنسانية عليا.

ويتسع مفهوم الانتماء للوطن عند الأديب عبدالحكيم قاسم ليشمل هموم المجتمع وقضاياه المصيرية على النحو الذي فصله في رواية محاولة للخروج، فعلى الرغم من معاناة الناس في القرية من نقص الخدمات الأساسية وانعدام الفرص أمام شباب القرية في محاولات تحسين أوضاعهم الاجتماعية، إلا أن بطل الرواية عندما لاحت له فرصة السفر إلى الخارج برفقة الزابث لم يتوان في الرفض «لماذا تبقى هنا... علي أن أبقى... لا أدري لماذا... لكن علي أن أبقى... حكيم إنني راحلة... لكنني سأبقى هنا»[(٣)]، فحكيم يرى في سفره وبعده عن قريته بمثابة النكوص عن أداء واجبه نحو القرية.

فكما يرى القارئ أن الانتماء من القضايا الاجتماعية التي فجرها عبدالحكيم قاسم من خلال نظرته الكلية للريف ؛ فالأرض علمت أبناءها الانتماء لها، فيرى المطلع على الرواية انعكاس ذلك على موقف الحاج

---

(١) جريدة الشعب، حوار صحفي أجراه عبد الحكيم قاسم، ص١١، مصر، سنة ١٩٩٠م.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣-٧-ح ٤٢٣٩، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) رواية محاولة للخروج، ص ١٧٠، ١٧١.

كريم من الريف والمدينة ، فكثيرًا من أبطال قاسم ينظرون إلى المدينة كأنها رمز التطلع إلى حياة جديدة إلا أنها غير محببة إلى النفس حيث تظل هذه الطائفة في آرائها وملامحها وطباعها بسمات الريف ورائحته ، وقد صور الكاتب هذه الأمور في مصداقية رائعة.

وفي رواية (ابن الريف) يبرز الأديب عبدالحميد بدران على لسان الراوي محبة الراوي/ السارد للحياة في الريف وانتماءه الشديد له، يقول الراوي: « لا أدرى ما سر أنسى وارتباطى بالريف إلى هذه الدرجة التى لا تعقل، على الرغم من وصية أحد أساتذتى بالخروج من محيط الريف باجتماعياته الطاغية التى تلتهم الوقت والجهد، ربما لأنه كان يشفق على ويرى فى مستقبلاً لم يستطع التكهن به وقتها إلا هو، لكن مقولته لم تكن تخرج عندى عن نطاق التندر، فالريف حياتى وعشقى، وجلدى الذي لا استطيع أن انسلخ منه»[١].

وقد عبر الأديب ربيع عقب الباب عن قضية الانتماء والاعتداد بالريف من خلال الحديث عن قيمة الأرض عند الفلاح يقول الراوي واصفا مشهدا حواريا بين أب وابنه «استمر صوت عبد الواحد يسري داخله كان هو ورجاؤه المعتاد له بتركه يربي الوالدين، والابتعاد عن الفلاحة عن كل ما يرتبط بها من عداوات أنا زهقت يابه من العيشة واللي عايشينها

يهاجمه الشيخ تكون الأرض عندنا وندي عرقنا لغيرنا أنت عايز تفضحنا » [٢].

والتمرد هنا من قبل الابن الشاب المتطلع لأضواء المدينة وبين الاب المعتد بالأرض والمرتبط بها يبرز حالة المفارقة الناشئة بين الموروث المقدس وبين الجديد غير الثابت.

وقيمة الأرض عند الفلاح تبدو تيمة متكررة طوال فصول رواية حبو الظلال لميرفت العزوني فالأرض هي محور الرواية، والحفاظ عليها هو الشغل الشاغل ، وعندما مات الأب « مندور» انهارت الأسرة وجدبت الأرض، يقول الراوي: «الأرض حلم يكبر، والخوف من فقدانها يزداد

مندور.. أورثك أبوك حب الأرض ووهبك لها الولد سندًا والأرض عرض»[٣].

وقد تجلَّى الانتماء للقرية بشكلٍ واضحٍ عند محمد العزوني في روايته (القيراط الخامس والعشرون) ؛ حيث تمثَّل هذا في شخصية ابن القريةِ وباحث الدكتوراة أحمد عبد الله ، الذي تحدَّى الجميع لإكمال رسالته للدكتوراة التي بعنوان (القرية المصرية والفلاح المصري عبر العصور ؛ صفط تراب دراسة حالة) ، وقد حذَّره جميع الأساتذة والأصدقاء من صعوبة هذا الموضوع ، واعتذر كثير من الأساتذة عن الإشراف على رسالته ، وقد انهال عليه صديقه فتحي كساب بوابلٍ من السخرية والإحباطات ، مؤكِّدًا له أنه لن يجد مرجعًا واحدًا يُشير إلى صفط تراب ، لكن حب أحمد عبد الله لقريته وانتمائه لها كان الدافع الأقوى لتحدِّي كل الصعاب ، يقول الراوي : « كان يعرف بالطبع أن فتحى كساب واحد من كبار الدارسين لتاريخ مصر، ويقدر رأيه رغم أي خلاف بينهما، وكان متأكدا أنه لن يجد أي مرجع عن تاريخ صفط تراب، لكنه كان يريد أن يقدم شيئا جديدا مختلفا، كان يريد أن يكتب تاريخا حيا أغفلته المراجع

(١) رواية ابن الريف ص ١٩ و٢٠.

(٢) رواية سوق اللبن، ص ١٢ وص١٣.

(٣) رواية حبو الظلال، ص ٢٤

وأهمله المؤرخون.. المؤرخون لم يكتبوا أبدا عن هذا الشعب، ولا عن هذه الأرض.. كانوا يكتبون دوما عن الحكام والغزاة المحتلين، ولم يكتبوا أبدا عن الناس الطيبين أهل هذه الأرض » ([1]).

**[٢] قوة الترابط والتآلف بين أبناء الريف:**

تتميز الأسر والعائلات في القرية بميزتين – خلافًا للمدينة – الأولى هي قوة الرابطة التي تجمع بين الأفراد حتى وإن بلغ امتداد الأسرة أو العائلة أعدادًا كبيرة إلا أن الحفاظ على أداء الواجبات العائلية في المناسبات المختلفة يعد مظهرًا مألوفًا داخل مجتمع القرية بخلاف المدينة، التي يصل حال أفرادها فيها إلى عدم معرفة كل منهما للآخر في محيطه السكني.

وهو ما شعر به حكيم في (رواية محاولة للخروج) «آخذ الزابث إلى عالمي، ناس أعرفهم دون تبادل بعيوني أحس ملمس أيديهم، ورائحة ثيابهم، في القاهرة أعرف الشوارع والعمارات الشاهقة وأرى الناس، لكنني لا أعرفهم ثمة شيء حولهم كالأسلاك الشائكة، تمنعني من الاقتراب منهم»[٢].

وأما الميزة الثانية فهي المشاركة والميل إلى العمل الجماعي، فروح الجماعة تسري في العمل وفي شتى أنواع النشاط الإنساني في الريف ، ويتجلى هذا في الأوقات التي تتطلب من الجماعة أن تجتمع حول واحد منها، لأي ظرف كان، وتأخذ المشاركة صورة القانون العرفي في المناسبات المختلفة كالوفاة واحتفالات الزواج، والعمل في الأرض وما تتطلبه حياة الفلاح من الاستعانة بمجهودات الغير وتعاونهم.

حيث إن «الفلاح وفي مواجهة هذه الظروف بالإضافة إلى ظروف الري التي تفرض نفسها شكلاً جماعيًا ابتدع لنفسه وبحسب إمكانياته وظروفه القاسية لونًا من الحياة الاجتماعية القائمة على التضامن والتعاون مع أهل القرية في حياتهم السوداء التي يعيشونها، فالبيوت متلاصقة على نمط واحد تقريبًا، والمشاركة واسعة بينهم في تبادل وسائل العمل والزراعة وفي الأحزان على كثرتها والأفراح على قلتها وبشكل جعل الذين كتبوا عن حياة القرية المصرية يقولون: إنه بكل مظاهر البؤس والشقاء فإن الفلاح المصري يمارس لونًا من الاشتراكية تساعده في مواجهة هذا البؤس وإذا كانت كل تلك الظروف القاسية قد حدت من طموحه الفردي وكانت سببًا في محاصرة إمكانياته الإبداعية إلا أنها من ناحية أخرى خلقت شكلاً من روح العمل الجماعي من الممكن لو وجدت لها ظروفًا مناسبة أن تنطلق لتحقيق المعجزات»[٣].

وقد فصل الأديب عبدالحميد بدران في روايته (ابن الريف) الحديث عن قوة الرابطة الأسرية في القرية في أكثر من موضع يقول الراوي « وسرعان ما انتقلنا إلي بيتنا الجديد، فأيقنت أن أقسي ما في الطفولة هو ظلام الريف القاسي، الذي يزداد شراسة في ليالي الشتاء الطويلة، وكنا نجتهد في تصويره شبحا مخيفا، نحذر أن يخطفنا في منعطفات الشوارع، أو ديناصورا مجنحا سوف يتخطفنا من السماء، كما تخطف الحدأة الكتاكيت، لذلك كنا نجد الأنس في الانكماش تحت اللحاف للنوم فوق الفرن المبني من الطوب في إحدي غرف البيت النائية[٤].

---

(٢) رواية القيراط الخامس والعشرون ، ص ١٧

(٣) رواية محاولة للخروج، ص ١١٦، ١١٧.

(٣) القرية المصرية، د / فتحي عبد الفتاح، ص ١٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط١، سنة ١٩٩٨م.

(٤) ابن الريف ص ١١ وص ١٢.

وظهر الترابط بين أهل القرية في (القيراط الخامس والعشرون) لمحمد العزوني في مواضع كثيرة ؛ منها وصفه لتوافد أهل القرية جميعًا عندما سمعوا صوت أحمد عبد الله مناديًا إياهم ، يقول الراوي :

« ما لبثت هذه الهتافات العالية أن وصلت إلى الموظفين والعمال في الوحدة المحلية، والمستشفى، والجمعية الزراعية، فتركوا أعمالهم، وانضموا فورا إلي الركب الحاشد » (١ )

حيث يدل تجمع كل أهل القرية عند سماع الصيحات على ترابطهم الشديد وقوة التماسك بينهم .

**[٣] كرم الضيافة:**

من أكثر القيم والخصال التي يتفاخر بها أبناء الريف هو حسن الضيافة وإكرام المضيف لضيفه، وهي من الأشياء التي يحرص عليها أبناء الريف سواء كانوا من أبناء الطبقات العليا ممن يتميزون بالرياسة ووفرة المال ، أو ممن هم دون ذلك من أبناء الطبقات الفقيرة.

وقد عبر عبد الحكيم قاسم عن ذلك ، وجعل الكرم دستور القرية، ففي رواية محاولة للخروج كان الكرم هو ما يسبغ معاملات أبناء قرية «حكييم » مع « الزابث» ، إلى الحد الذي لفت انتباهها بشدة كثرة الترحيب وتفاني أبناء القرية في تقديم الضيافة الكريمة لها.

يقول الراوي «حكيم»: «حماة أختي على مصطبة وسط الدار وحولها أدوات الشربات علبة السكر والزجاجة وصينية الأكواب الرائعة وأبريق الزجاج الكبير المزين بالورد... العجوز تشمر ثوبها عن ساعدين... تضع لنا مشروبًا... شرابًا مسكرًا ملونًا... تصنعه عادة في الزواج... » (٢)

وقد وصف محمد العزوني كرم الضيافة عند أهل القرية مُتمثِّلاً في استقبال الحاج بدراوي للمأمور في زيارته الأولى للقرية قبل عشرين عامًا ، يقول الراوى : « كان ما يزال ملازما جديدا في مركز المحلة، لم يكن قد مر على استلامه للعمل إلا أيام قليلة، حين عرف أن هناك حفل إفطار رمضاني في صفط تراب، وأن أغلب قوة المركز مدعوة لهذا الإفطار..» . (٣)

وتعد تلك الصورة من تآلف الناس فيما بينهم ، وتجمعهم في الشهر العظيم ؛ من أجل الصور وأروعها؛ التي تميز القرية عن المدينة .

## المطلب الرابع

## تحولات المجتمع القروي

تعد فكرة التغير الزمني وما يستتبعه من تبدلات أو تحولات اجتماعية وثقافية في مجتمع القرية من الأفكار التي طرحها أدباء الغربية في أعمالهم في أكثر من موضع وبأكثر من صفة، وإن كانت رؤيتهم لها في الإجمال تأتي مناوئة لهذه التحولات ومضادة لها وتأتي في اتجاه واحد هو انهيار عالم القرية وتجريفه من المضمون أو الهدف العام الذي أُنْشِئَتْ من أجله هذه المجتمعات، وقد تحقق ذلك بمجموعة من الصور التي أبرزها كل منهم، ومنها:

---

(٣) رواية القيراط الخامس والعشرون ، ص ١٢

(٤) رواية محاولة للخروج، ص ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١

(٥) رواية القيراط الخامس والعشرون ، ص ٣٥

١. **الميل إلى الحداثة** في نمط المعيشة وفي استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة ، وتغير الطرز المعمارية التقليدية وأدوات البناء إلى ما يشبه الموجود عليه في المدن، أي اقتراب عالم القرية إلى عالم المدينة، واختلاف عادات وأخلاقيات أهل الريف في الحاضر، عما كانت عليه في الماضي.

ففي المشهد الختامي لرواية (أيام الإنسان السبعة) تحدث عبد الحكيم قاسم عن بداية ظهور المقاهي في الريف، وإقبال الرجال عليها، وما يؤدي إليه ذلك من اختلاف في عادات الناس في القرية وقلة الاهتمام بالزراعة وهي عصب الحياة الريفية، حتى أن الأخلاقيات تغيرت إلى الأسوأ نتيجة ارتياد المقاهي ؛ فالرجال يسب بعضهم بعضًا بعد أن كان الريفي مضرب المثل في التحلي بالأخلاق والفضيلة.

يقول الراوي: «المقهى، غرفة صغيرة وقدة من ضوء الكلوب والصياح والزياط والهياج حزمة من الحياة الصخابة مدفونة تحت صمت القرية لكنها قوية، المذياع على آخره، وصوت المطربة المسرسع يندفع في خط مواز لهيصة الجالسين، الأرائك بجوار الحيطان مزدحمة بالجالسين والأرض المفروشة بالحصر والركائب لا مكان فيها لقدم، الطبالي وحولها لاعبوا الكوتشينة ورشفات الشاي وكركرة الجوزة....»[(١)]، فالمقاهي حولت ليل القرية من الهدوء، والسكون التي كانت تتمتع به، إلى الضوضاء، والصخب، فيما يشبه حال المدينة تمامًا.

٢. **هجرة الريفي إلى المدينة وترك مهنة الزراعة إلى مهن وحرف أخرى:**

ويعد تمرد بعض أبناء الريف على الحياة الريفية وانتقاله للحياة في المدن من الظواهر السلبية التي استفحلت في العقود الأخيرة، حيث ترك الفلاح أرضه وهاجر إلى المدينة ليمارس في أغلب الحالات مهنًا دون المستوى، سواء كان ذلك تمردًا على العمل في الزراعة أو حلمًا بحياة ومستقبل أفضل إلا أن ذلك الأمر له انعكاسات خطيرة على الدولة ككل وليس المجتمع الريفي فقط.

هذه الآثار تتبدى في وجود المهاجرين من أبناء الريف على حواف المدن وفي العشوائيات يعيشون فيها حياة رديئة في المستوى الأدنى من السلم الاجتماعي في المدن، وهو ما عبر عنه الأديب عبد الحكيم قاسم في رواية (قدر الغرف المقبضة) فى حديثه عن هؤلاء المهاجرين.

ففي رواية سوق اللبن وعبر تقنية الحوار يتحدث الروائي ربيع عقب الباب عن الفلاحة وعدم جدواها من وجهة نظر الشخصية الرئيسة ورغبته في الانتقال إلى المدينة «تلبسين يا ثريا أجمل الثياب تصبحين أميرة يكون كل عملك البيت والأولاد أنت تروحين مني، تموتين تعبا في البيت والغيط والزريبة أشم رائحتها في ثياب نومك في لمس اصابعك أكون بندريا يا ثريا ألا سحقا للبيت والغيط شفت فيلا المأمور أيام الشقاء لامعة كالمرآة لامعة تفوح منها رائحة العطر شفت زوجة المامور جميلة سنيورة ليست اجمل منك يابنت بل انت الاجمل لولا المرمطة والشقى الحياة القاسية نعم ياثريا اولادهم لا يلامسون تراب الارض... » [(٢)].

وفي رواية (أرض الهويس) يلجأ والد «ماهر» وهو أحد عمال التراحيل إلي حيلة لارشاده إلي قيمة التعليم كمحاولة لدفعه للبعد عن الفلاحة لصعوبتها من خلال التجربة المباشرة في الاحتكاك مع هذا العمل

(١) رواية أيام الإنسان السبعة، ص ٢٥٥.

(٢) رواية سوق اللبن، ص ٥٤.

الشاق وهذا العام المليئ بالعنصرية يقول الراوي: «لم يأت ماهر للأرض من أجل المصروف مثلنا، أبوه أرسله معنا ليعرف أن الفلاحة صعبة فيجتهد حتى تأتي أيام الدراسة».

ومن خلال ممارسة « الفلاحة علي أرض الواقع» في نهاية المشهد يصل ماهر إلي حقيقة ما يعانيه أبناء هذه المهنة ويكون ذلك دافعًا له للعودة إلي مسار التعليم، خاصة عندما يلمس بنفسه الظلم والقهر الاجتماعي كأثر للفوارق الطبقية بينه وبين «ابن الباشا» يقول الراوي:

« اقترب القادم أكثر.

- البيه الصغير.

ما أجمل أن تكون «بيه» وأنت صغير، عاود زيدان صياحه:

- وطوا يا ولاد...

وفوجئ زيدان.. بالسؤال.. ولم يشأ أن يتلعثم ثانية فهوى بالعصا علي ظهر ماهر.»[١].

في نهاية المشهد وبعد أن قام «مسعد» بالتجربة المباشرة نجده يستعيد نصيحة والده ليعلم بها أخاه الصغير كأنها حلقة دائرية لا نهاية لها من الأحلام المكسورة

وفي رواية (حبو الظلال) أظهرت ميرفت العزوني كيف تخلى أبناء مندور عنه وعن الأرض، واتجه كل منهم لمهنة جديدة ضاربين عرض الحائط بكل نصائحه لهم يقول الراوي:

«صقر الذي كان مهمومًا بالأرض، اعتزلهم بعد أن تشاجر مع فرج وكاد يفتك به

- كلكم قاعدين وأنا اللي شغال.. وطالع روحي، أخوكم الكبيرفي المحلة، بنشوفه في الأعياد وبياخد زينا، وأنت وحمدان طول الليل سهرانين ع القهاوي من المواردي،

والله لاشوف نفسي أنا كمان ومحروق أبو الأرض.

صقر.. أبوك يرى فيك الأمل والحلم الممتد

أحيانا كان يقسو عليك، قسوة المحب الذي ينشد الكمال لمن يحب.»[٢].

وقدعبرت الكاتبة ميرفت العزوني في موضع سابق عن طول فترة الإهمال للبنية التحتية للقرية ، حتى الفترات التي تلت انتهاء الحرب ، لم تنتبه السلطة لمعالجة القصور، مما جعل أبناء القرية يحلمون بالهجرة من الريف إلى المدينة .

(١)رواية أرض الهويس، ص ٨٨ ، ص٨٩ ، ص٩٠

(٢) رواية حبو الظلال ، ص ٥٩.

## الخـــــاتمة

**انتهيت بفضل الله تعالى وتوفيقه من إعداد هذا البحث والذي كان موضوعه " رؤية الواقع الاجتماعي في القرية المصرية عند روائيي محافظة الغربية " « دراسة تحليلية »**

**وقد أسفرت هذه الدراسة عن نتائج من أهمها:**

١. كشفت الدراسة عن ثقافة الأدباء التاريخية والسياسية والدينية والأدبية والتي اتضحت في استدعائهم لبعض الأحداث التاريخية والسياسية - كثورة يوليو١٩٥٢م- مع ذكر ما سببته من تغييرات في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وما استتبعته من قوانين ونظم انعكست على حياة الناس، وخاصة في القرية المصرية.
٢. مال الأدباء في تناولهم للقرية، إلى الاتجاه الواقعي بأنواعه: (التسجيلية – والفجة – والنقدية – والتحليلية) ويلى ذلك بنسبة أقل التناول الرومانسي والرمزي.
٣. أظهر الأدباء علاقة الفلاح المصري بالسلطة عبر التاريخ (المملوكي والعثماني والملكي والجمهوري)، وأظهروا حالة القهر والظلم الاجتماعي، الذي تعرض له الفلاح عبر جميع الأنظمة السياسية المعبرة عن تلك الفترات الزمنية.
٤. تحدث الأدباء عن الظواهر السلبية في القرية المصرية، من خلال حديثهم عن الفقر والجهل والظلم والقهر، وأظهروا أنه بفعل فساد السلطة المركزية وبعدها عن الاهتمام بمجتمع القرية وتهميشه.
٥. عبر الأدباء عن تحولات مجتمع القرية المصرية في القيم والعادات والتقاليد والأعراف، بفعل العولمة، وانتقال القرية من حالة البساطة التي كانت عليها، إلى مظاهر الحداثة والتقدم العمراني والتكنولوجي، وأعلنوا رفضه الصريح لذلك.
٦. أضافت خبرات الأدباء بالمجتمع الريفي وأحواله، دقة متناهية في تناولهم لصورة القرية، ولذلك يرجع كثرة استخدامهم إلى الشكل السير قصصي.
٧. غلب تصوير الأدباء للقرية في صورتها السلبية على الصورة الايجابية؛ ويرجع ذلك للرؤية المتشائمة التي طبعت بها أعمال أكثر من كاتب.
٨. اهتم الأدباء بتصوير الطبقة الفقيرة، والاهتمام بأحوالها المعيشية، كما اهتموا بإبراز مثالب التفاوت الطبقي في القرية المصرية.

## المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر:**

**الروايات**


١. ابن الريف، عبدالحميد بدران، دار النابغة، طنطا، مصر، ط١، سنة ٢٠١٨م.
٢. أحلام العايشة ، خليل الجيزاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،ط١، سنة ٢٠٠٢م.
٣. أرض الهويس، فريد محمد معوض الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط١، سنة ٢٠٠٥م.
٤. أيام الإنسان السبعة ، عبدالحكيم قاسم ،دار الشروق، مصر، ط ٣، سنة ٢٠١٣م.
٥. حبو الظلال ، ميرفت علي العزوني ، دار الثقافة الجديدة، مصر، ط١، سنة ٢٠٠٥ م.
٦. سطور من دفتر الأحوال ، عبد الحكيم قاسم ، دار الشروق، مصر، سلسلة الروايات القصيرة مجموعة الأعمال الكاملة للكاتب، ط ١، سنة ٢٠١٦م.
٧. سوق اللبن ، ربيع عقب الباب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ط١، سنة ٢٠٠٩م.
٨. القيراط الخامس والعشرون، محمد حمزة العزوني ، دار النابغة، طنطا، مصر، ط١، سنة ٢٠١٩م .
٩. كفر سيد سليم ، دار الشروق، مصر، سلسلة الروايات القصيرة مجموعة الأعمال الكاملة للكاتب، ط ١، سنة ٢٠١٦م.
١٠. محاولة للخروج، عبد الحكيم قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ط١، سنة ١٩٨٩م.


**ثانيًا: المراجع :**


١. أصوات في القصة القصيرة المصرية، سيد حامد النساج، دار المعارف، مصر، ط ١، سنة ١٩٦٤.
٢. الدين والتصور الشعبي للكون سيناريو الظاهر والباطن في المجتمع القروي المصري، د/ السيد الأسود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٢، سنة ٢٠٠٥م .
٣. الروائي والأرض ، دكتور عبدالمحسن طه بدر ، دار المعارف مصر ، ١٩٧١م .
٤. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٣٠٥/١، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣هـ.
٥. القرية المصرية، فتحي عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط١، سنة ١٩٩٨م.
٦. المستدرك على الصحيحين ٣-٧-ح ٤٢٣٩، ابن البيع أبو عبد الله الحاكم محمد بن حمدويه النيسابوري ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧. الهامش الاجتماعى فى الأدب قراءة سوسيو ثقافية، هويدا صالح، دار رؤية للنشر، مصر، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٥ م.


**ثالثًا: الدوريات:**


١. الديمقراطية إشكالية الحرية ،عزت قرني،عالم الفكر مج ٢، ع٢، الكويت، سنة ١٩٩٣م.
٢. الشباب وتحديات التنمية البشرية في المجتمع المصري، سعاد عطا فراج، بحوث الشرق الأوسط العدد ١ سبتمبر ٢٠٠٧م.
٣. الواقعية النقدية في رواية خيط سحري ، نجلاء نصير ، القصة مصر العدد الخامس، مارس ٢٠١٧م .

**سادسًا: تقارير و حوارات:**

١. تقرير التنمية في العالم ١٩٩٠ إصدار البنك الدولي، الطبعة العربية مؤسسة الأهرام القاهرة، سنة ١٩٩٠.
٢. حوار صحفي أجراه عبد الحكيم قاسم، مصر، سنة١٩٩٠ بجريدة الشعب.

# Seeing the social reality in the Egyptian village according to the novelists of Gharbia Governorate

## ( An analytical study)

**By**

**Eman Mohamed Ahmed Al-Bshbishy**

**Prof. Dr. Osama Mohamed Al Behairy**

Professor of Criticism and Rhetoric and Head of the Arabic Language Department

Faculty of Arts, Tanta University

**Dr. Hamed Mohamed Abd El Latif**

Lecturer of literature and modern criticism, Faculty of Arts,

Tanta University

**Abstract:**

The village space attracted many contemporary novelists in the Gharbia governorate to the interest of portraying it in their narrative works in a significant quantitative way. They created a distinguished model in shaping the features and landmarks of the village by highlighting the pictures of real life in it, with a style characterized by high artistic quality and a superior ability to caress the reader's imagination. Which constituted a literary phenomenon that deserves study in order to find out its objective components, artistic features, and intellectual visions accompanying it. In her study, the researcher used the descriptive or inductive method, which is concerned with the text in the first place by collecting evidence on the phenomenon and analyzing it in order to reach specific results about the phenomenon under study.

***This research consists of four demands:***

***The first requirement :*** The novelists of Gharbia Governorate and their vision of the social and political reality.

***The second requirement :*** The phenomenon of poverty and the absence of social justice in rural society.

***The third requirement :*** Positive values in rural society.

***The fourth requirement :*** Rural society transformations.

**key words:** See the social reality - Egyptian village - Gharbia Governorate novelists.